مراجعات الكتب | Book Reviews

كِتابٌ كلاميٌّ مُقدَّم للوزير نِظَام المُلْك: مؤلَّفٌ لحفيد ابن فُورَك في عِلم الكَلام

A Theological Book Presented to Al-Wazir Nizam Al-Mulk: Authored by Ibn Forak's Grandson on Theology

Hassan Ansari | حسن أنصاري[١]

تعليق وترجمة:

Mohamed Magdy El-Sayed | محمد مجدي السيد[٢]

Mohamed Abdel Rahim Ahmed | محمد عبد الرحيم أحمد[٣]

(١) المصدر: بررسيهاي تاريخي در حوز اسلام وتشيُّع (دراسات تاريخيَّة في مجال الإسلام والتَّشيُّع)، د. حسن أنصاري، مكتبة ومتحف ومركز وثائق مجلس الشُّورى الإسلامى، طهران، ط١/ ١٣٩٠ هـ. ش (٢٠١١م)، الصفحات: ٧٢٢ - ١٣٢.

(٢) باحث ماجستير، الفلسفة الإسلامية، البريد الإلكتروني: mmad72404@gmail.com

(٣) باحث في التراث الإسلامي، البريد الإلكتروني: tayfor1975@gmail.com

يَذكُر العلَّامة المرحوم «زرياب خوئي» -في مادَّة «ابن فُوْرَك» مِن دائرة المعارف الإسلاميَّة الكُبْرى (دائرة المعارف بزرگ اسلامي) ٤٢١/٤- كتابًا منسوبًا إلى أبي بكر بن فُورَك المتكلِّم الأشعريّ المعروف، بعنوان: «النِّظَامي في أُصول الدِّين»، نسَبه إليه حاجي خليفة (١٩٦٠/٢)، وذكَر أنَّه قد صنَّفه للوزير نِظام المُلْك.

والمرحوم زرياب يرفض -مُحِقًّا- نسبة مِثل هذا الكِتاب إليه؛ لأنَّه لا يمكن أنْ يكون ابن فُورَك قد صنَّف كتابًا لوزيرٍ لم يفتح عينيه على الدُّنيا إلا بعد وفاته هو بعامين أوْ أربعة أعوام[٤]! ولم يكن الأستاذ زرياب قد حصل على نُسخة هذا الكِتاب، ولذلك لم يُسلِّط مزيدًا مِن الضَّوء عليه.

ومِنْ حُسن الحظِّ أنّي قد تمكَّنت مؤخَّرًا مِن الظَّفر بصورة مِنْ هذه النُّسخة ضِمن مجموعة مُصوَّرات العلَّامة البروفيسور «دانييل جيماريه»، وسأحاول مِن ثَمَّ -في هذا المقال القصير-التنبيه على أهميَّة هذا الكِتاب.

ومِن الضَّروريِّ قبل ذلك أنْ أشير إلى أنَّ الوزير نِظام المُلْك، بسبب اهتمامه بالشَّافعيَّة والأشاعرة، وبسبب إنشائه للمدرسة النِّظَاميَّة، وارتباط عُلماء الشَّافعيَّة والأشعريَّة بِهِ، فإنَّ عددًا مِن هؤلاء العُلماء كانوا يقومون بتأليف بعض الكُتب باسمه. وأوضح مثالٍ لذلك: إمام الحرمين الجوينيّ الَّذي كتَب كلًّا مِن: «العقيدة النِّظَاميَّة»، و«غِياث الأُمَم أنَّ هناك عُلماء آخرين عاشوا في عهد نِظام المُلْك كانوا مُرتبطين به، ووضَعوا بعض الرسائل والكتب بطلبٍ مِنه.

(٤) وإلى مثل ذلك ذهب كل من: د. لطفي دوغان في رسالته بالدكتوراه عن مذهب الأشعرية حتى أحمد بن محمد الفوركي سنة ١٩٦٠م، د. محمد السليماني في معرض تحقيقه لكتاب الحدود لابن فورك، وريتشارد م. فرانك في بحثه الموسوم «الأنطولوجيا الأشعرية»، وولفرد مادلنغ في حديثه عن الماتريدية، وخان تييل في بحثه الموسوم «بين قرطبة ونيسابور»، وزابينه شميتكه في تقديمها لكتاب «المرجع في تاريخ علم الكلام»، وغيرهم. (المترجمان)

ومن بين الأشاعرة فإنَّ المؤلِّف الحقيقي لنصِّ «النِّظامي» قد كتب كتابه أيضًا برَسْم نِظام المُلْك كما يتَّضح ذلك مِن عنوان الكِتاب. وأهمية هذا الكِتاب الجديد بالنشر تكمن في أنَّه كِتاب في عِلم الكلام، ومؤسَّس على عقيدة الأشاعرة.

في مقالته عن «ابن فُورَك» يشير العلَّامة زرياب إلى حفيدٍ لابن فُورَك، ويورد ترجمةً مُقتضبةً له؛ اعتمادًا على «المُنتظم» لابن الجوزيّ، و«طبقات الشَّافعيَّة» للسُّبْكي. وسنحاول نحن هنا، استنادًا إلى مصادر الأستاذ زرياب، وبالرُّجوع أيضًا إلى «لسان الميزان» -الَّذي قدَّم معلوماتٍ مهمَّةً تتعلَّق به- أن نترجم له باختصار:

هو أبو بكر أحمد بن محمَّد بن الحسن الفُورَكيُّ النيسابوريُّ، سِبط[٥] ابن فُورَك، وصِهر أبي القاسم القُشَيْريِّ، كان مُشتغلًا بالتَّدريس والوعظ في المدرسة النِّظَاميَّة ببغداد، وكان خَصْمًا لدودًا للحنابلة.

وقد كان قبل ذلك مُقيمًا بنيسابور، ولكنه انتقل فيما بعدُ إلى بغداد واستوطنها (وربما كان ذلك -على احتمال ضعيف- بسبب أحداث فتنة الكُنْدري). وقد وُلِد عام (٤٠٨هـ)، وتُوفِّي ببغداد في عام (٤٧٨هـ) [انظر: السُّبْكي ٤/٧٩؛ ابن الجَوْزي ٩/١٧(٦)].

(٥) السِّبْط: ولدُ البنت. انظر: تاج العروس (س ب ط). (المترجمان)

(٦) وانظر أيضًا: تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٩٠/٣٧، ٢٩١.

وقد وردت في «لسان الميزان» (٣٠٤/١، ٣٠٥) معلومات مثيرة للاهتمام حول دوره في الفتنة الشَّهيرة بين الحنابلة والأشاعرة ببغداد إبَّان عصر الوزير نِظام المُلْك، وهو يعتبره المُحرِّك الأساسيَّ لتلك الفتن.

ولا شكَّ أنَّ المؤلِّفين مِن الحنابلة وأصحاب الحديث لم يكونوا بالطَّبع ينظرون إليه نظرةً وديَّةً، بل كانوا يرمونه بشتَّى التُّهَم؛ ومنها: ارتداء الحرير، والشَّغف بالدُّنيا[٧].

والمسألة المُلفتة للانتباه حوله هي استعمالهم في حقِّه تعبير: «لَزِم العسكرَ»[٨]، الَّذي يُشير إلى أنَّه كان قد لازم نِظام المُلْك والسُّلطان السّلجوقيّ حينًا مِن الدَّهر.

وعلى أيَّة حال، فالمؤلِّف الحقيقيّ

(٧) زدْ على ذلك ما ذكره ابن البنَّاء الحنبلي (ت ٤٧١هـ) في «يومياته» عن حادثة وقعت بين ابن فورك والحنابلة، يقول: «وعُرِّفتُ يومَ عبَرَ قاضِي القُضَاة إلى قبر أبي حنيفةَ ليُجْلِسَ أبا طالبٍ، أخَا النَّقيبِ، ومعه الجَماعة، أنَّ ابن فُورَك تكلَّمَ بِما أنْكَرَتْهُ الجَماعةُ، واسْتُدِلَّ به على الجَهْلِ العَظيمِ؛ وذَاكَ أنَّه قَالَ: «أشْرفُ البِقاع ثلاثٌ: مكَّةُ، والمدينة»، ثمَّ قال: «وهذا المَوْضِعُ» -يَعْنِي قبر أبي حَنيفة- فقالَ بعضُ المُتفَقِّهةِ: «ونَسيتَ أنَّ في الدُّنيا مَوْضِعًا يُقالُ له بيت المقدس؟! فَليْتَ قُلْتَ: أَرْبَعُ مَواضِعَ؛ كان أجملَ مِن أن تُعْلِمَ كِذبَكَ صُراحًا!»». انظر: [ابن البنَّاء: اليوميات، ص ٢٠٦]. (المترجمان)

(٨) ويقولُ الذهبيُّ في المعنى نفسِه أنه: «تردَّد مراتٍ إلى المعسكرِ، وكان نِظامُ المُلك يُكرمُه ويحترمه»؛ انظر: [تاريخ الإسلام، ٤١٩/١٠]. والمعسكر هذا: كان ميدانًا فسيحًا بجوار نيسابور أقام فيه الوزير نظام الملك معسكره، وهو المعسكر نفسه الذي قصده الإمام الغزالي -بعد وفاة أستاذه الجويني- للالتقاء بنظام الملك. انظر: [د. عبد الرحمن بدوي: مؤلفات الغزالي، وكالة المطبوعات- الكويت، ط١٩٧٧/٢م، ص ٢٢]. (المترجمان)

لكتاب «النِّظامي» -الَّذي نَسَبه حاجي خليفة خطأً لابن فُورَك الجَدّ- هو حفيد ابن فُورَك هذا، الَّذي كان يُعرَف أيضًا بالفُورَكيّ؛ نِسْبةً إلى جَدِّه لأُمِّه: ابن فُوْرَك.

وعلى هذا، فقد كان مؤلِّف الكِتاب مُعاصرًا للوزير نِظام المُلْك، وواعظًا في مدرسته، كما كان مُعاصرًا أيضًا لإمام الحرمين الجوينيِّ العالِم الأشعريّ البارز في تِلك الحِقبة.

وأهميَّة كتابه تنبع من كونه أوَّلًا مِن أقدم الكُتب الكلاميَّة الأشعريَّة المتوفِّرة بين أيدينا، وثانيًا: أنَّ بمقدوره -مقارنةً بكتب الجويني الكلاميَّة- أنْ يوضِّح بشكل صحيح التَّطوُّر الذي شهده الكلام الأشعريّ، وانفرادات الجوينيّ[9].

نُسخة الكِتاب محفوظة في مكتبة آيا صوفيا بتركيا برقم (٢٣٧٨)، ويُحتمَل بقوَّة أنَّ هذه النُّسخة كانت هي السَّبب فيما وقع في «كشف الظُّنون» مِن نِسبة الكِتاب لابن فُورَك[10]؛ حيث إنَّ الكِتاب قد نُسِب خطأً -في وجه الورقة الأولى منها- إلى أبي بكر بن فُورَك. وقد ورد اسم المؤلِّف في كتابنا هكذا: «الشَّيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمَّد بن فُورَك» (انظر: الورقة ١٠٨/ب).

وليس من الواضح على وجه الدِّقَّة السِّرُّ في نسبته إلى «فُورَك»؛ وذلك أنَّه كان حفيدًا لابن فُوْرَك من جهة ابنته، لا من ناحية ابنه، ونَسَبُه في المصادر لا ينتهي -على أيَّة حال- إلى فُورَك.

وقد ذكَر في أحد المواضع واحدًا من شيوخه يُكنَّى «أبا الحُسَيْن» (الموضع نفسه ١٠٨/ب). وأبو الحسين هذا لا بُدَّ أنْ يكون هو أبا الحسين عبد الغافر بن محمَّد الفارسيَّ -مِنْ عُلماء نيسابور- والَّذي ذُكِر بوصفه شيخًا لمؤلِّفنا في كتاب السُّبْكيِّ. وربما كان المقصود أيضًا هو شيخه في عِلم الكلام الَّذي ذكروه بِاسْم أبي الحسن (أبي الحسين) القزاز.

وتاريخ كتابة النُّسخة هو آخِر جمادى الآخرة عام ٧٩٠ هـ، وهي تقع في ١٥٦ ورقة.

وقد أهدَى المؤلِّف كتابه -في مطلعه- بوضوح للوزير نِظام المُلْك، مادحًا إيَّاه بأوصاف من قبيل: «...العادل العالِم،

(٩) أضف إلى ذلك أن هذا الكتاب ضمَّنه مؤلِّفه ردودًا جدليةً تُبيِّن شخصيته العلميّة من ناحية، وتطور المنهج النقديّ عند الأشاعرة في القرن الخامس الهجريّ من ناحية أخرى. كما تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه تضمَّنَ عددًا من الآراء والنُّصوص لعلماء من المذهب الأشعريِّ لم تصلنا مؤلَّفاتُهم؛ مثل: الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني، ووالده. ومِن الممكن أن يُسهِم كِتاب «النِّظامي» في إعادة بناءِ تلك الكتب المفقودةِ مع ما تبقَّى مِن تُراث الأشاعرة الكلاميِّ. ولا يخفى أيضًا أن الكتاب كان في بعضِ المواضع بمثابةِ شرح، أو حاشية، على بعض الأفكار التي أَوْجَزها بعضُ الأشاعرة السَّابقين عليه في كتبهم، فتأتي شروحُه هُنا وتعاليقُه موضِّحةً للأصل، مُبيِّنةً لمَراميه من وجهةِ نظره. (المترجمان)

(١٠) ولم يكن صاحب «كشف الظنون» وحده الذي وقع في هذه النسبة الخاطئة، بل أيضًا: إسماعيل باشا البغدادي، وكارل بروكلمان، وخير الدين الزِّرِكْلي، وعمر رضا كَحَّالة، وفؤاد سزكين، وغيرهم. (المترجمان)

نظام المُلْك والدَّولة، قوام الدِّين والمِلَّة، وزير الوزراء، تاج الوزراء، أتابك ...» (الورقة ٣/أ). ولهذا السبب نفسه سمَّى المؤلِّف كتابه بـ«النِّظامي القوَّاميّ الرَّضويّ في إرشاد المُبتدئين، إلى قواعدِ أُصول الدِّين» (الورقة ٣/ب).

ونطالع في الكتاب تاريخ «ربيع الآخر عام ٤٦٥هـ» لمنامٍ رآه المؤلِّف[11]، وهو ما يُشير إلى أنَّ تأليف الكِتاب كان بعد هذا التاريخ (انظر: الورقة ٨٦/ب).

ويُعَدُّ الكتاب مجموعةً كاملةً نسبيًّا في عِلم الكَلام، بشكل مُختصر بالطَّبع، ولا سيَّما في الفُصول الأخيرة مِن الكِتاب. وثمَّة أجزاء مِنه تحظى على وجه الخُصوص بأهميَّة فائقة، سأعمل -إنْ وفَّق الله تعالى- على نشرها. أمَّا هاهنا فسأكتفي بالتَّعرُّض فحسب لبعض دقائق هذا الكِتاب.

افتتَح في بدايات الكِتاب بابًا يتعلَّق بمعاني الألفاظ المتداولة فيما بين عُلماء الأصول؛ أي المتكلِّمين (في معاني ألفاظ تدور بين عُلماء عِلم الأصول، الورقة ١٧/أ فما بعدها).

وقد اشتغل في هذا الكِتاب بإبطال عقائد أصحاب الطَّبائع والدَّهْرية بإسهاب، وتناول بالتَّفنيد والرَّدِّ كلاميًّا مباحث مثل: الاعتقاد بالهَيُولَى والطَّبائع (٢٤/ب بالنسبة للاعتقاد بالهيولى؛ وانظر أيضًا فيما يتعلق بأصحاب الطَّبائع: ٣٠/أ - ٣٣/ ب).

ومن المسائل المثيرة للاهتمام في هذا الكِتاب: اهتمامه الخاصُّ بإبطال عقائد الكَرَّاميَّة في القضايا الكلاميَّة، ولا سيَّما قضايا الأسماء والصِّفات الإلهيَّة. وتزايَد هذا الأمر لدرجة أنَّ جانبًا كبيرًا مِن الكِتاب يمكن اعتباره -على نحوٍ ما- ردًّا على عقائدهم[12].

وبالنَّظر إلى العلاقات المتوتِّرة بين الكرَّاميَّة والأشاعرة في خُراسان إبَّان عصر

(١١) تبرَّك -على طريقة الصوفيَّة- بعدَّة منامات رآها وقت تصنيفه لكتابه هذا [١٠٩/ب]، وهي كما يلي: المنام الأول: لَمَّا خالف شيخه وأستاذه أبو الحسين الفارسي في مسألة من مسائل الكلام، فلَمَّا عاد إلى داره رأى فيما يرى النائم والده الإمام الشهيد (ت ٤٢١هـ)، وحلَّ له ما أُشكل عليه، ثم علَّق ابن فُورك على هذه الرؤيا بقوله: «وإنَّما حكيتُ هذه الحكاية لِمَا فيها ممَّا يزداد المؤمن إيمانًا؛ لِمَا يعلم من تأييد الله تعالى لأهل الدِّين بما يشرح له صدورهم بتوفيق الله تعالى». والمنام الثاني: في حديثه عن أرزاق العباد، يخبرنا بأنه رأى فيما يرى النائم قائلًا يقول له: «لِمَ لا تستدلُّ في هذه المسألة بقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؟». (المترجمان)

(١٢) فأشارَ أولًا إليهم [٤٣/ب] بوصفِهم مِنْ أبرزِ الطَّوائفِ القائلةِ بالتَّجسيمِ؛ يقولُ: «اعلمْ أنَّ اللّٰهَ تعالَى ليسَ بِجِسْمٍ، وما خالَفَنا في هذه المسألةِ إلا طائفةٌ قليلةٌ مِنَ الكرَّاميَّةِ، فإنَّهم قالوا: إنَّ اللّٰهَ تعالَى جسمٌ». ثُمَّ أبانَ مذهبَهم ومقصدَهم مِنْ هذا اللَّفظِ -أي الجِسْمِ-، يقولُ: «وإذا سُئلوا عنْ معنى قولِهم إنَّه جسمٌ، قالوا: إنَّما نريدُ بذلكَ أنَّه شيءٌ، ونحنُ نجعلُ لفظَ «الجسمِ» عبارةً عَنْ أنَّه شيءٌ. واليومَ لا يوجدُ منهم أحدٌ يُطلِقُ هذهِ اللَّفظةَ، فتركوا إطلاقَ هذا القولِ». ويعترِفُ صاحبُ «النِّظاميِّ» أنَّ طائفةً قليلةً منهم هي المُجاهِرَةُ المُتمسِّكةُ بالتَّجسيمِ، وهذا يَعني أنَّ هناكَ طوائفَ كثيرةً منهم تُوافِقُ الأشاعرةَ في التَّنزيهِ، ولا تقتربُ إلى التَّجسيمِ؛ وهذا بعكسِ الصُّورةِ الرَّائجةِ عنهم أنَّهم كلُّهم مُجسِّمةٌ.(المترجمان)

السُّلطان محمود الغَزْنويِّ وما بعده، فإنَّ اهتمام مؤلِّفنا بمناقشة عقائدهم يُعَدُّ أمرًا طبيعيًّا، ولكن إذا تذكَّرنا جيِّدًا بشكلٍ خاصٍّ ما جرَى في بلاط محمود الغَزْنويِّ مِن أمورٍ بين جَدِّه -أي: ابن فُورَك المعروف (توفي سنة ٤٠٦هـ)- وبين الكرَّاميَّة (كما ذكَر هو في رسالته إلى أبي إسحاق الإسفراييني، ورواه ابن تيمية[١٣])، فإنَّنا نستطيع أكثر أنْ نفهم ما كان لدى حفيده هذا من حساسيَّة.

أمَّا النُّقطة المُثيرة للانتباه في هذا الصَّدد، فهي أنَّه ينعت جَدَّه صراحةً بـ«الشَّهيد» (انظر: ٨٩/أ)، وهذا ما يُؤيِّد شائعة اغتيال ابن فُورَك أو تسميمه بأمر محمود الغزنويّ وبتحريض مِن الكراميَّة.

على كلِّ حالٍ، فإنَّ هذه المعلومة ذات أهميَّة كبيرة مِن ناحية التَّأكيد على رواية مصادر، مثل: ابن حَزْم والسُّبْكيِّ. بل إنَّه يَصِفُ والده أيضًا -الَّذي كان صهرًا لابن فُورَك، ومن العلماء[١٤] (انظر: ٨/ب، ٤٣/ب)- بـ«الشَّهيد» أيضًا (انظر: ١٠٦/ب). وهو يذكُر أيضًا وجود والده في الرَّيِّ (انظر: ١٢٨/ب).

وليس بين أيدينا بطبيعة الحال روايةٌ عن وجودٍ للكرَّاميَّة في بغداد إبَّان العصر السّلجوقيِّ، إلا أنَّه يتَّضح من كون المؤلِّف قد صنَّف كتابه هذا للوزير نِظام المُلْك أنَّه كان يُريد جذب انتباه الوزير إلى خطر الكرَّاميَّة في خُراسان، وإثارة قلقه مِن وجودهم ونشاطهم.

وفيما يتعلَّق بعقائد الكرَّاميَّة، فهو يناقشها في كثير من المواضع، ومن بينها: القول بالجِهة بالنسبة للباري تبارك تعالى، وكونه تعالى محلًّا للحوادث (انظر: ٦٣/ب؛ ٦٤ ب، وأيضًا ٦٧/أ).

وقد تكلَّم عن رحلة لابن فُورَك إلى هِراة (٣٧ ب)، ونحن نعلم أنَّ هِراة كانت واحدةً من المعاقل الَّتي يتمركز فيها الكرَّاميَّة. وهو يتحدَّث أيضًا عن حوار دار بين جده ابن فُورَك والصَّاحب بن عبَّاد (٨٩/أ).

وعلى هذا النَّحو أيضًا وردت في هذا الكِتاب معلومات جديرة بالاهتمام بخُصوص الخلافات الواقعة بين الأشعريَّة حول مَسْألة الصِّفات، وتأويل الآيات والأحاديث المتعلِّقة بها (مثال: الورقة ٤٧/أ).

ونحن نعلم أنَّ صراعًا حامي الوطيس كان محتدمًا في عصر المؤلِّف بين الأشاعرة والحنابلة ببغداد، وهو ما شارك فيه المؤلِّف ذاته أيضًا. وقد انعكس هذا الأمر في هذا الكِتاب، حيث قام فيه بالرَّدِّ على عقائد الحنبلية التَّشبيهيَّة ونقضِها.

---

(١٣) انظر: مقالة الأستاذ زرياب في مادَّة «ابن فورك».

(١٤) انظر أيضًا: المختصر للفارسي، تحقيق: محمد كاظم محمودي، طهران، ١٣٨٤ هـ ش (٢٠٠٥م)، ٢٩٤، رقم (٢١١٦)؛ حيث ذكَر أثناء ترجمة الأخ غير الشقيق لمؤلِّفنا اسم والدهما - أي: الأستاذ الإمام أبي منصور محمد بن الحسن (بن محمد بن إبراهيم) بن أبي أيوب الأيوبيّ- والذي يتبيَّن من كتابنا أنه كان قد قُتِل أيضًا. وورد أيضًا في ثنايا ترجمة مؤلِّفنا.

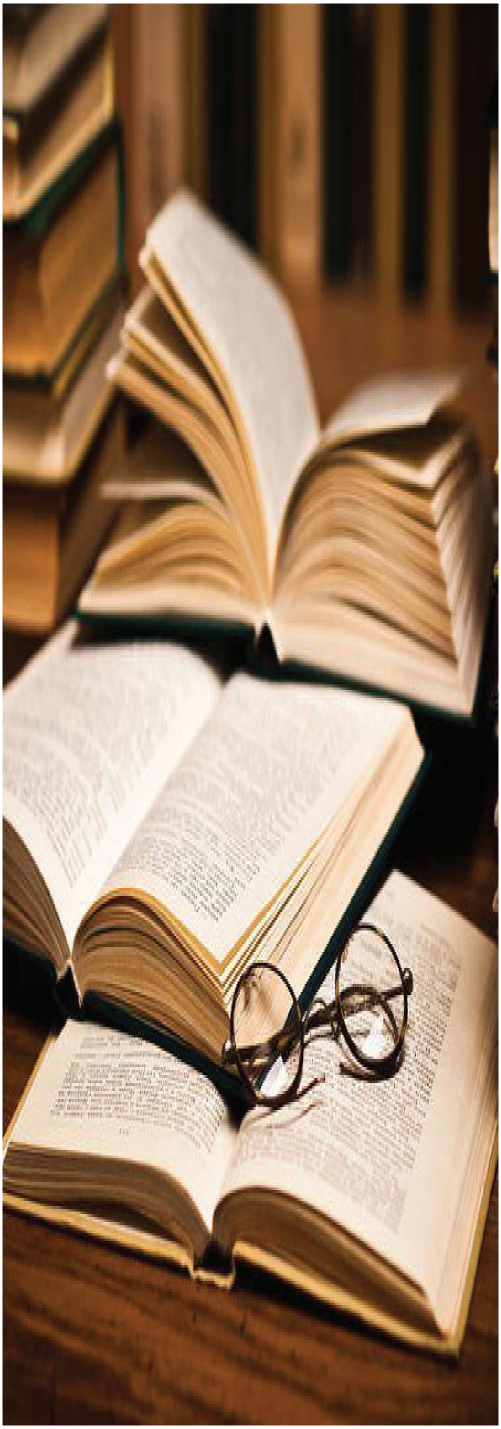

وهذا الأمر يؤيِّد أنَّ الكِتاب كان ثمرةً للأعوام الَّتي قضاها في بغداد.

وهو يُثنِي -مع ذلك- على أحمد بن حنبل، ويبرِّئ ساحته من تهمة التَّشبيه، ويُبطِل تأليه (٦٠/أ، ب). كما أنَّه يهتمُّ كذلك بعقائد النَّجَّاريَّة[١٥]، والرَّوافض، بالإضافة إلى المُعتزِلة (مثال: ١٠٥ أ).

.

---

(١٥) ورغم موقفه النقدي الشديد من النجارية تأثر بهم -دون أنْ يصرح بذلك- في بعض مسائل النُّبوات، يقول في جواز ظهور المعجزة على الكذابين من عدمها [١٤٤/ب]: «مَنْ ادَّعى النُّبوَّةَ فما هاهنا دليلٌ يدلُّ على صدقِه إلا ما يظهرُ على يدِه مِنَ الفعلِ النَّاقضِ للعادةِ على وفقِ دعواه، فلو جازَ ذلكَ ظهورُه على يدِ الكاذبِ لما بقَى دليلٌ يستدلُّ به على صدقِ الصَّادقِ، فلذلكَ لا يجوزُ ظهورُ مثلِه على يدِ مَن يدَّعي الُنبوَّةَ كاذبًا». وهو بهذا يذهبُ مذهبَ طائفةِ النَّجاريَّةِ، يقولُ الأشعريُّ في «مقالاتِه»: وقالَ قائلونَ: قد يجوزُ أنْ تظهرَ المعجزاتُ على الكذَّابينَ الذينَ يدَّعونَ الإلوهيةَ ولا يجوزُ أنْ تظهرَ على الكذَّابينَ الذينَ يدَّعونَ النُّبوَّةَ، قالَ: لأنَّ مَن يدعي الإلوهيةَ ففي بنيتِه ما يكذِّبُه في دعواه، وليسَ مَنِ ادَّعى النُّبوَّةَ في بنيتِه ما يكذِّبُه أنَّه نبيٌّ، فهذا قولُ حسينِ النَّجَّارِ، انظر: [الأشعري، مقالات الإسلاميين (١٢٥/٢)]. ويبدو أنَّ هذه المسايرةَ ليستْ مِن قبيلِ الصُّدفةِ؛ فالحسينُ النَّجَّارُ كانَ يَدينُ بأبرزِ مقالاتِ الصِّفاتيَّةِ وكَسْبِ الأشعريِّ، ولعلَّ قُربَ النَّجَّارِ مِن مقالاتِ أهلِ السُّنَّةِ -رغمَ الخلافِ الواضحِ بينهم- هو ما استحثَّ الأشاعرةُ للنَّظرِ في آرائِه ومطالعةِ أدبياتِهم، ممَّا أدَّى إلى تسرُّبِ مثلِ هذا الرَّأيِ إليهم. (المترجمان)